

ف. ب. كيزيتش

المسيح في الأناجيل
أو
الكنيسة والنقد الكتابي الحديث

تعريب الأب ميشال نجّم

ترجم هذا الكتاب عن الاصل الانكليزي :
The Gospel Image of Christ :
The Church and Modern Criticism
Veselin Kesich : مؤلفه

الصادر عن :

St. Vladimir's Orthodox Theological Seminary
Crestwood, New York, 1972.

فهرس

صفحة

٧	المقدمة
٩	الفصل الاول : الكنيسة والنقد
١٠	المنهج التفسيري في النقد الحديث
١١	نقد الأشكال الأدبية
١٦	المنهج والموضوعية
١٩	الفصل الثاني : مسألة الاصاله
١٩	الحدث وتفسيره
٢١	كلام يسوع ومعناه
٢٢	اللغة اليونانية في فلسطين
٢٤	مقياس عدم التشابه
٢٧	الكتاب المقدس والتقليد
٢٨	الوحدة بين العهد القديم والعهد الجديد
٢٨	يسوع والكنيسة
٢٨	« يسوع التاريخ » و « مسيح الايمان »
٣١	الفصل الثالث : الانجيل والانجيل
٣١	تأريخ كلمة « انجيل »
٣٤	الانجيل والانجيليون
٣٦	المسألة السينائية
٣٨	هل تعد الانجيل سيرا ؟
٤٠	مهمة الانجيليين المزدوجة
٤٢	دور الشهود

صفحة

٤٥	الفصل الرابع : التسلسل الزمني والترتيب اللاهوتي في الانجيل
٤٥	لا رواية عن يسوع بدون لاهوت
٤٨	موعد العشاء الاخير
٥١	محاكمات يسوع
٥٥	الفصل الخامس : قبول الكنيسة للانجيل
٥٦	الانجيل الايوكريفية
٥٩	الكنيسة ومركيون
٦١	« الانجيل الرباعي »
٦٥	الفصل السادس : يسوع واليهود والامم
٦٦	يسوع والحركات الدينية اليهودية
٦٧	يسوع والاسانيون
٧١	يسوع والسامريون والامميون
٧٥	الفصل السابع : من هو يسوع ؟
٧٦	المسيح
٧٨	ابن الانسان و خادم الرب المتالم
٨٢	ابن و رب
٨٤	السر الماسياني
٨٧	الفصل الثامن : ملكوت الله
٨٨	الصفة الاخروية في تعظيم يسوع
٩١	الملكوت كما تكشفه الامثال
٩٢	الملكوت كما تكشفه المعاني
٩٤	الملكوت والكنيسة
٩٧	الخاتمة
٩٩	حواشي الفصل الاول
١٠٥	حواشي الفصل الثاني
١١٤	حواشي الفصل الثالث
١١٩	حواشي الفصل الرابع
١٢٤	حواشي الفصل الخامس
١٢٩	حواشي الفصل السادس
١٣٥	حواشي الفصل السابع
١٤٣	حواشي الفصل الثامن
١٥٠	مراجع مختارة

مقدمة

هـدـف هـذه الـدراسـة تعـريف القارئ العادي على بعض المسائل الهامة التي برزت في الأبحاث الانجيلية ، والمشاركة في المناقشات الدائرة في الأوساط الارثوذكسية حول قيمة النقد الكتابي واستخدامه في الكنيسة .

وفي الوقت الحاضر نفتقر نحن الارثوذكسيين الى الاهتمام الكافي في هذا الحقل ، وذلك يعود في الاصل ، الى الظروف التاريخية خلال الحقبة الطويلة من العزلة والتي ولدت لدينا الفكرة الخاطئة بأن أبحاث النقد الكتابي من اختصاص الانجيليين وحدهم ولا علاقة للارثوذكس بها ، لكن ظروفنا الآن قد تغيرت . فالكنيسة الارثوذكسية ليست فقط باحتكاك مباشر مع الغرب ولكنها تحيا الانجيل وتعلنه هناك . فالى متى يمكنها أن تهمل أو تتجاهل ما يدور في حقل الدراسات الكتابية ؟ لا شك في أنه ظهر في القرنين الماضيين علماء ولاهوتيون ارثوذكسيون كانوا واعين تمام الوعي اهمية النقد الكتابي ومقدرين له قيمته ، بيد أنهم لم يؤثروا التأثير الكافي على الكنيسة ككل . ولا وجدوا الكثيرين يحذون حذوهم ويتممون عملهم خالقين بذلك المناخ الملائم لتابعة الدراسات الكتابية . بل بالعكس كان الحماس لهم ضعيفا لان الكثيرين كانوا ينظرون الى النقد الكتابي وكأنه شيء سلبي ، لا بل وكأنه موجه ضد الايمان نفسه .

لقد كتب (بضم الكاف وكسر التاء) هذا الكتاب بايمان راسخ وقناعة بأن النقد الكتابي ليس سلبياً ، فالوظيفة الحقيقية للنقد

ليست للهدم بل للبناء وليست للتعقيم بل للانارة ، وليست لتضليل
اعضاء الكنيسة بل لحملهم على فهم أفضل للنص الكتابي والحقيقة
التي يعبر عنها هذا النص . لا يوجد منهج نقدي كامل أو معصوم
عن الخطأ ، لكن قد تكون لبعض نتائج قيمة ثابتة . المصاعب تنشأ
من جراء فرضيات العلماء وهذه الفرضيات هي التي تفسر كيف أن
الذين يستخدمون المنهج ذاته يصلون أحيانا الى نتائج متعارضة
جدا .

لا تمكن دراسة الانجيل بدون نقد انجيلي . لذا على الكنيسة
الا تتردد في تشجيع وخلق الظروف الملائمة لتقدم الدراسات
الكتابية . يوجد ترابط بين هذا النمط من الدراسات وبين اللاهوت
بحيث يصعب علينا تخيل نهضة لاهوتية بدون اهتمام عميق ومشاركة
فعالة في الأبحاث الكتابية . وتاريخيا نما الفكر اللاهوتي عندما كان
مرتبطا ارتباطا وثيقا بالمعرفة الكتابية ، اذ لا يمكن للواحد ان يحصل
دون الآخر .

هذا الكتاب يهتم بالاناجيل وبالشخص الذي هو محور الرواية
الانجيلية . ولقد عدنا دائما الى اساتذة التفسير الكتابي الذين
ساعدونا على رؤية تلك الرواية في موقعها الصحيح وعلى اجتنابنا
الى يسوع كما كان ينظر اليه معاصروه . ولا بد لنا من ان نعي أن
وجه يسوع ، اذا أردنا له أن يؤثر في عصرنا هذا ، يجب أن يكون هو
نفسه الذي تصوره لنا الاناجيل .

مهمة هذا الكتاب الرئيسية هي رسم هذا الوجه بمساعدة
الأبحاث النقدية الحديثة .



الفصل الأول

الكنيسة والنقد

الانجيل مصدرنا الوحيد لحياة يسوع وتعاليمه (1) . وبما ان امورا كثيرة تعتمد على شخص يسوع فلا عجب ان تكون الانجيل قد اخضعت لأدق بحث ادبي وتاريخي خلال القرنين الاخيرين . ولا توجد وثائق أخرى قديمة قرئت وحلت . بالاهتمام والدقة اللذين استخدمنا في دراسة الانجيل الاربعة . بالطبع لم يكن النقد الكتابي مجهولا في الكنيسة الاولى ، لكن التساؤلات النقدية التي هي مركز الاهتمام في العصور الحديثة كانت هامشية . فنمو النقد الحديث ظاهرة جديدة في حياة الكنيسة . اننا سنبحث في الفصول اللاحقة بعض نتائج الابحاث النقدية محاولين الافادة منها . ولذا فستعكس في مناقشاتنا آراء العديد من كبار النقاد . وسنركز ، بادىء ذي بدء ، على المنهج التفسيري ومن ثم تأتي الانواع المختلفة للنقد الكتابي ، كما سنولي التساؤلات التي يطرحها النقاد حول تاريخية المادة الانجيلية اهتماما خاصا ، آخذين بعين الاعتبار دور الكنيسة في تكوين الوثائق الانجيلية وتحديدها .

(1) انظر الى الحواشي في آخر الكتاب .

المنهج التفسيري في النقد الحديث

يقبل كل علماء الكتاب المقدس المنهج التفسيري ويستخدمونه، والمهمة الاولى للناقد الذي يستخدم هذا المنهج هي أن يفهم ما يريد الكاتب نقله في فقرة أو كتاب ما . عليه أولا ، تحديد النص قبل استخراج معناه ودرس المقطع كله في سياق ما يسبقه وما يلحقه . هذا قد يتطلب دراسة الفصل كله أو حتى الكتاب بكامله . ثم يحاول الناقد تحديد مصدر أو مصادر الرواية التي يبحث فيها ، هل تأتي هذه الرواية من مصدر يشترك فيه أنجيليان أو ثلاثة ؟ أم هي من مصدر خاص يستند اليه أنجيلي واحد فقط ؟ ثم تأتي بعد ذلك الخطوة التي تتعلق بالتفتيش عن الشكل غير المكتوب الذي عبر فيه عن تلك الرواية في التقليد الشفهي ، الامر الذي يعني تجاوز المصادر الادبية والتأكد من مكانة هذه الرواية في حياة الكنيسة . واخيرا يأتي السؤال عن اصل التقليد ، اكان قولاً أم أعجوبة أم مثلاً أم اي حدث خاص ذكر في الاناجيل ، ترى هل اصوله في حياة الكنيسة أم انها تعود الى يسوع نفسه ؟

هذا المنهج التفسيري يفترض انواعاً عديدة من « النقد » اولها نقد النصوص . فلو كنا نملك النسخ الاصلية لأسفار العهد الجديد لما كنا في حاجة للنقد النصي . ولكن هذه الاسفار نسخت وحصلت اخطاء خلال ذلك ففدنا على الناقد ان يستخرج لنا افضل نص ممكن . ليست هذه المهمة سهلة ، فللأناجيل وحدها ما يتجاوز الالفى مخطوطة ، وغالبا ما نجد قراءات متعددة للآية الواحدة ، فآية قراءة نعتد ؟ لذلك يجب ان يكون الناقد عارفاً معرفة دقيقة ليس اسلوب الكاتب فقط بل لاهوته وذلك قبل الشروع بأخذ خطوة حاسمة في قبول قراءة ورفض أخرى . والصعوبة التي ينبغي تخطيها هنا هي لاهوت الناقد ، خاصة عندما يتعارض ولاهوت صاحب النص الانجيلي ، لأن الناقد سيحاول فرض لاهوته هو على النص . لكن بالرغم من كل الصعوبات ، من تعدد النصوص الى تحيز الناقد ، فقد ادى النقد النصي خدمة اساسية في فهم الكتاب المقدس لأنه ساعد في التوصل الى نص جدير بالاعتماد (٢) .

كثيرون ممن لا يرغبون بالنقد الكتابي بكل اشكاله ، مستعدون تماما لقبول ضرورة النقد النصي ولتقدير نتائجه .

فيقولون « بالنقد الأدنى » ويتخذون موقف الحذر تجاه تقييم « النقد الأعلى » . وهذه البرودة تجاه هذا الأسلوب النقدي تبررها المواقف الاعتباطية التي يتخذها أصحاب « النقد الأعلى » كأن يكتشفوا أحيانا ثلاثة مضار في آية واحدة . وهذا بالطبع يفقد السفر وحدته العضوية . لا شك في أن هذا الموقف متطرف لكن كثيرا ما أغرى نقاد المصادر باتباعه . لكل منهج حدود ومنهج نقد المصادر ليس مستثنى . ورغم ذلك فعيوب هذا المنهج ليست مبررا كافيا لرفض قيمة « النقد الأعلى » رفضا باتا (٣) .

تبقى مشكلة تحديد المصادر التي استقها الانجليون في تدوين رواياتهم الانجليزية . هذه المشكلة كانت من أولى اهتمامات نقاد المصادر . بيد أن نتائج النقد المصدري مشكوك بها أكثر من نتائج النقد النصي لأنها أكثر تجريبية وذاتية . مثال ذلك اهتمام نقاد المصادر بالسؤال حول أولية الأناجيل الأربعة . كثير منهم يعتبر أنجيل مرقس الأول في الترتيب الزمني ويعتبر أن متى ولوفا استعانا به لكتابة انجيليهما . كما استنتج من وجود المادة المشتركة بين متى ولوفا إنهما استعملا إلى جانب مرقس مصدرا آخر يشار إليه بالحرف Q (Quelle كلمة المانية تعني مصدرا) . غير أن هذه النظرية التي تقوم على مرقس وعلى Q قد شك في صحتها علماء آخرون لا يقبلون بأهمية أنجيل مرقس ولا يؤيدون وجود مصدر مفترض هو Q . هؤلاء يفترضون وجود عدة مصادر لكنهم يشكون في نظرية الاستعارة قائلين بوجود احتكاك واتصال فيما بين المصادر الانجليزية قبل أن يستخدمها الانجليون .

نقد الأشكال الأدبية

لقد طغى نقد الأشكال الأدبية على النقد الإنجليزي في القرن العشرين وبالتحديد منذ بداية الحرب العالمية الأولى ، لكنه لم يحتل مكان النقد المصدري الذي كانت نتائجه قد قبلت . في هذا المنحى النقدي يحاول العالم التغلب على كل ما من شأنه أن يبدو انحرافا إبداعيا متطرفا وذلك عن طريق تجاوز النصوص الأدبية والغوص في بحث التقليد الشفهي ، والسعي في تتبع نمو التقاليد المتصلة بيسوع ، ووصف كيفية هذا النمو وفقا لاحتياجات الكنيسة

الرسولية (٤) . أي انه يهتم بالمرحلة الزمنية التي كانت فيها روايات يسوع واقواله ما تزال طافية على سطح التقليد الشفهي .

ان معرفة الشكل الادبي مهم جدا لتفسير اي سفر كتابي اذ ان فهمنا للأناجيل يتوقف ، الى حد بعيد ، على الاجابة عن السؤال حول شكلها الادبي . اهي سيرة (قصة) ام تأريخ للأحداث ام انها شهادة شهود عيان لیسوع ؟ على الجواب يتوقف تفسيرنا للنص وما لم نحدد الشكل الادبي للنص لن نكتشف مغزاه . فلنأخذ ، مثالا ، سفر يونان ، فاذا اردنا معرفة ما ينقله لنا فلا بد لنا من التساؤل اولا عن شكله الادبي : هل هذا السفر سرد لحادثة حقيقية او هو مثل ؟ (٥) .

ولا يكفي ان نحدد الشكل الادبي لكل انجيل بكامله بل يجب ايضا ان نحدد الاشكال الادبية للمقاطع الصغيرة الموجودة في كل انجيل ، لان كل انجيل يضم اتماطا ادبية متعددة كاقوال يسوع القصيرة والمعجزات وسرد الخبرات الشخصية ومدونات الشهود العيان وقصص الطفولة وسلسلة الانساب وغيرها . لكن نقاد الاشكال الادبية لا يتفقون حول تصنيف المادة الانجيلية . فمنهم من يفضل التكلم عن الاشكال الادبية المختلطة اكثر من الكلام عن الاشكال الادبية الصافية . ومنهم من يعبر عن ارتيابه بالقيمة التاريخية لبعض المقاطع الصغيرة . فمثلا لم يصنف كبير نقاد الاشكال الادبية رودلف بولتمان الحادثة الواردة في (مر ٣ : ١ - ٦) والتي تدور حول شفاء رجل ذي يد مشلولة ، كحادثة عجائبية بل كراي معبر عن موقف اليهود تجاه السبت . ولهذا يقول : « ان الحادثة تصل الى ذروتها عندما يقول يسوع : « هل يحل في السبت عمل الخير ام عمل الشر ؟ انقاذ نفس ام اهلاكها ؟ » ويدعو بولتمان هذا النمط من القصص « حكمة » او « قولا مأثورا » لأن له ما يشابهه في الادب اليوناني (٦) . امثال هؤلاء النقاد ، كبولتمان ، يعتبرون ان القول لیسوع ولكن الاعجوبة هي من صنع الجماعة الاولى .

لو اقتصر نقد الاشكال الادبية على تحديد الاشكال الادبية وتصنيفها لأدى بذلك مهمة لا غنى عنها (٧) . ولكنه تعدى ذلك الى اصدار الحكم على القيمة التاريخية للمادة المتجسدة في شكل ادبي معين . وهذا ما اثار جدلا عظيما . ففي حين يعتبر ديبيلوس ان

اعطاء مثل هذه الاحكام ليس من وظيفة نقاد الاشكال الادبية ، يرى بولتمان عكس ذلك . ويذهب المتطرفون ممن يحذون حذو بولتمان الى القول بأن عجائب شفاء المرضى في الانجيل تشكل نوعا ادبيا يشابه قصص العجائب في العصر الهليني . ويبينون ان قصص عجائب الشفاء في الانجيل وفي التراث الهليني تركز على العناصر الثلاثة التالية :

— وصف للوضع ولطبيعة المرض .

— العمل الذي قام به الشخص الشافي ، اي الطريقة التي بهاشفى المرضى .

— نتيجة هذا العمل .

على اساس هذا التشابه ينزع النقاد المتطرفون الى الاستنتاج بأن عجائب الانجيل ليست من عمل يسوع بل اختلقها الجماعة المسيحية الاولى ولذلك فهم يرفضونها . لكن ، هل التشابه في الشكل الروائي سبب كاف لحذف العجائب من حياة يسوع ؟ وهل بالامكان رواية حادثة شفاء ما بطريقة اخرى ؟ (٨)

عجائب يسوع جزء لا يتجزأ من التقليد الانجيلي الاولي ، ولا يوجد اي مصدر انجيلي بدون ذكر احداث عجائبية . وحتى يسوع نفسه فقد ذكر بوضوح انه اجترح العجائب :

« الويل لك يا كورزين ، الويل لك يا بيت صيدا ! فلو كانت المعجزات التي جرت هيكما جرت في صور وصيدا ، لتاب اهلها من زمن بعيد . . . وانت يا كفرناحوم المرتفعة الى السماء ستهبطين الى الهاوية » (لو . ١٠ : ١٣ — ١٥ ، متى ١١ : ٢٠ — ٢٤) .

وحتى خصوم يسوع انفسهم لم يرفضوا عجائبه . وهكذا يتضح لنا كيف ان آراء النقاد الخاصة وفرضياتهم المسبقة يمكن ان تؤدي الى رفضهم للعجائب (٩) .

ان نقد الاشكال الادبية يدل على ان حاجات الكنيسة لعبت

دورا هاما في الحفاظ على الروايات والاقوال الانجيلية ، وفي اختيارها واستعمالها . وبذا يكون اهم انجاز لهذا النمط من النقد اظهاره ان النقد الانجيلي لم يوجد متصلا عن حياة الكنيسة ، وتأكيد ان العهد الجديد هو كتاب الكنيسة .

لقد عاشت الكنيسة الاولى في صلواتها كلمات الرب يسوع واعماله . وكان المسيحيون الاولون « يواظبون على تعليم الرسل وكسر الخبز والصلوات » (اعمال ٢ : ٤٢) . وكانوا يتذكرون ويفسرون كلمات يسوع واعماله خلال اقامة الانخارستيا . ويمكننا التصور ان المعلمين في وعظهم كانوا يجيبون عن الاسئلة حول تعليم يسوع ويعطون الامثلة لشرح موقفه من الشريعة والشريع والمؤسسات اليهودية . كما كانوا يوضحون تعاليمه بشأن ملكوت الله وعن نفسه . ومع انتشار المسيحية وتزايد عدد الراغبين فيها قامت الكنيسة باعداد مجموعات من اقوال يسوع وتعاليمه وضعت في متناول العاملين في التعليم الديني . فضيقت بذلك نقل التقليد الانجيلي واطمأنت الى ان اعضاءها الجدد يتلقون بامانة اقوال يسوع واعماله . واصبح بإمكان كل كنيسة محلية ان تراقب تعليم الكنائس الأخرى . وهكذا اغلق المجال أمام كل راغب في اختلاق روايات انجيلية جديدة (انظر مثلا اعمال ٨ : ١٤ و ١٠ - ١١) . ان احتياجات الكنيسة حددت ما يجب إدراجه من تقاليد عن يسوع في النصوص المكتوبة . لم تكن الاحتياجات تؤدي الى اختلاق الروايات بل كانت تدعو الى تقرير ما يجب انتقاؤه وتطبيقه على الاوضاع الجديدة في الكنيسة . فالكنيسة لم تختلق اقوال يسوع واعماله انما سعت الى تفسيرها فقط . فمثلا ، عندما طرح (بضم الطه وكسر الراء) ، اثناء انعقاد المجمع الاورشليمي في السنة الخمسين بعد الميلاد ، السؤال عن ضرورة اختتان الوثنيين لخلاصهم ، لم تجد الكنيسة في كلام يسوع اي جواب مباشر . فلو كان نقاد الاشكال الادبية محقين في ادعائهم بان الكنيسة اختلقت الروايات الانجيلية لكان من شأن الكنيسة ، ما دامت الظروف مؤاتية ان تبدع اقوالا تنسب الى يسوع او تخلق قصة تدل على موقفه من ختانة الوثنيين ، لكن الكنيسة لم تخضع لأية تجربة من هذا النوع ولم تنسب الى يسوع اي قول غير مسنود (١٠) . وهكذا انتهى الجدل الحار حول ختانة الوثنيين دون اختلاق قول منسوبة ليسوع ،

واتخذ قرار ضد فرض الحُتان بعد دراسته وافية قام بها الرسل والشيوخ .

ان النقد الشكلي ساهم مساهمة فعالة في توضيح التقاليد الانجيلية قبل صيها في شكلها النهائي المكتوب . غير ان اتباع هذا النمط النقدي يميلون الى ان ينسبوا الى جماعة المؤمنين مسؤولية تكوين النص الانجيلي اكبر مما يمكن اثباته . فيقولون بذلك من اهمية الدور الذي لعبه الشهود العيان في نقل كلمات يسوع وافعاله ويضعفون من مساهمة الانجيليين الشخصية في تأليف اناجيلهم (١١) .

ظهرت حديثا نزعة جديدة في نقد الاشكال الادبية تعرف بـ « نقد الانشاء الادبي » . هذه النزعة تحاول تدارك النقصان في الطريقة السابقة فتشدد على دور الانجيليين اكثر من تشديدها على دور الجماعة . وفيها يهتم الناقد بالصفات المميزة لكل انجيلي ، والطريقة التي استعمل بها المصادر المتوفرة لديه . لذلك نراه بعد تحديد الشكل الادبي لسفر ما يهتم بأسلوب الكتابة وطريقة التأليف ومرآحل الوصول الى النص النهائي . انه يهتم بعمل الانسان الذي كتب السفر اذ يعتبر ان الانجيليين لم يكونوا فقط جامعين للتقاليد الجماعة المسيحية بل مؤلفون لهم نظرتهم الخاصة بدليل تصنيفهم المواد الانجيلية بطريقة تعبر عن اهتماماتهم اللاهوتية . ولقد توصل احد اشهر نقاد الانشاء الكتابي وبيلي ماركسن بتشديده على اهمية دور الانجيليين الى الاستنتاج بان الاناجيل الاربعة لا تنتمي الى شكل ادبي واحد ، وان النموذج الانجيلي المشترك قد نقض (يضم النون وكسر القاف) كثرة ما ابتكر كل من الانجيليين من الاساليب الخاصة في الكتابة حتى اصبح كل انجيل قائما بذاته (١٢) .

بالرغم من المواقف المتطرفة التي قد تنتج عن تطبيق اي من نزعتي نقد الاشكال الادبية ، كما اتضح سابقا ، يبقى ان استعمال هذا النهج كأداة علمية محضنة من قبل عدد آخر من النقاد اعطى مؤائد جلي وفتح ابوابا كانت ما تزال مغلقة . فساهم التصنيف الدقيق للاشكال الادبية والوصف الواضح لدور الانجيليين في كتابة اناجيلهم اسهاما كبيرا في تفسير العديد من المقاطع الصغيرة وكلمات يسوع واقواله الواردة في الاناجيل .

المنهج والموضوعية

لا يتوصل دائما مطبقو المنهج التفسيري الى النتائج نفسها . وهذا لا يسبب اللوم للمنهج بحد ذاته ، اذ لسم يظهر في عصر من العصور منهج مطلق او مكتف بذاته . فليس من منهج الا وتعرض لفرضيات العلماء وتحيزاتهم . وقد ذكرنا بهذا الصدد انه حتى في حقل النقد النصي لعبت فرضيات النقاد دورا مهما في اختيار نص ورفض آخر . ولذا فلا بد ان يكون لآرائهم تأثير في الكنيسة والتقليد ومكانة الكتاب المقدس في الكنيسة وحتى في تفسير نص انجيلي .

كتب الأب سرجيوس بولفاكوف ان هناك دوما « بحثا علميا حقيقيا » من جهة و « انحيازات العصر » من جهة اخرى (١٣) . وبالرغم من الاحكامات فقد ساهم النقاد الكبار فعليا في البحث العلمي لحل المشاكل الكتابية ، وبالتالي ازدادت معرفتنا بالاناجيل ، وتعمق فهمنا لعمل الله في التاريخ . وان كنا قد انتقدنا بعض النزعات في علم الكتاب المقدس فهذا لم يكن بهدف القاء اللوم على منهج نقد الاشكال الادبية بل للاشارة الى الانحرافات التي وصل اليها بعض الباحثين . فالبعض منهم يعتقد ان حياة يسوع يجب ان تكون مغايرة لما تبينه الوثائق الانجيلية . وهم يريدون قبول يسوع وفهم رسالته بطريقتهم الخاصة . وانحرافاتهم هذه ذات طابع عقلائي مشكك . العقلاني يعتبر الاناجيل بمثابة وثائق انسانية وجسب ولا يمكنه ان يرى فيها اي طابع آخر . وبالتالي لا يسعه ان يعتبرها هئية وانسانية لانه يرفض ، مبدئيا ، العنصر « الالهي » او « الفائق الطبيعة » ، وينسب كل شيء الى ايمان جماعة مجهولة غير محددة المعالم . وهكذا يكون قد ابدى روحا غير نقدية وافضى به شكه المتطرف الى التسليم الساذج ببعض فرضياته . ولو استنطاق كل الباحث ان يكونوا موضوعيين ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، لتوصلوا في آخر الامر الى تفسير واحد للنص الكتابي . ويتعبر آخر لكانوا فهموا كل المعنى الذي اراد الكاتب ان ينقله الى قرائه (١٤) . وهذا الامر ممكن ولو نسبيا . ويمكننا الاشارة ، في هذا الصدد ، الى ان عددا من النقاد « الانجيليين » و « الكاثوليك » يتوصلون اليوم في ابحاثهم الكتابية الى النتائج نفسها ، وبذلك يساهمون في هدم الحائط القديم الذي كان يفصل بينهم لدرجة يصعب فيها تحديد هوية الناقد

بالاستناد الى ابحاثه ونتائجها ، فالعالم « الانجيلي » لا يميز من الكاثوليكي والعكس صحيح . وفي العشرين سنة الاخيرة تزايد عدد الكاثوليك الذين اتخذوا المواقف الاكثر تقاربا من الانجيليين لا بل المواقف نفسها في كثير من الاحيان . لا شك ان هذه المواقف تدل على درجة عليا من الموضوعية . ولكن ليس المنهج التفسيري وحده يعطل هذا التقدم في الموضوعية بل الرؤى الواحدة والمنهج العلمي الواحد والمنطلقات الواحدة هي التي تجمع بين هؤلاء النقاد .

يبقى ان احدى النتائج المشجعة للنقد الكتابي الحديث الاهتمام المتزايد بالدراسات الكتابية ، وبها تكتشف جماعات مسيحية عديدة ان بينها شركة في الرؤية اكثر بكثير مما كانت تظن . ولقد اسهم النقاد المتطرفون في زيادة الاهتمام اذ اثاروا تساؤلاتهم نقاشا مجديا حول طبيعة الرواية الانجيلية وتاريخيتها ، وحثت علماء العهد الجديد على اعادة النظر بتأني في النصوص والبحث عن اجوبة للمسائل المطروحة .



الفصل الثاني

مسألة الأصالة

مهمة نقد العهد الجديد ايصالنا الى رؤية يسوع كما كان يراه معاصروه بيد انه لا يستطيع ان يستنفذ كل معنى الانجيل . قد يقولنا ان نقد الى يسوع ولكن « لا يقدر احد ان يقول : يسوع رب الالهام من الروح القدس » (١ كور ١٢ : ٣) . مهمة النقد الحقيقية هي فتح طرق جديدة لفهم سجل الله واهدافه في التاريخ .

الانجيل ذاتها تشجع النقد ، اذ كل حادثة في حياة يسوع مدونة في اكثر من انجيل . وليس من الضروري ان يكون الانسان ناقدًا كتابيا حتى يلاحظ التشابه والاختلاف بين الانجيليين في سرد الحادثة نفسها . عمل النقد هو تفسير تلك الاختلافات . وحتى في تدوين كلمات يسوع نستطيع ان نلاحظ اختلافا في التدوين واختلافا في التركيز وذلك لان اعمال يسوع لا تقدم الينا كوقائع مجردة ، وكلماته لا تعرض من دون معناها . فالوقائع مصحوبة بتفسير لها والكلمات مرتبطة بمعانيها .

الحدث وتفسيره

الحدث يلاحظ ثم يسجل . والوقائع لا تنقل بدون تفسير كما ان الرسالة النابعة من الحدث تنقل مع رواية الحدث نفسه .

في التقليد الانجيلي يلاصق الحدث دوما تفسيره وتعلم الوقائع مع معناها . فمثلا في خبر موت المسيح (مر ١٥ : ٣٧ - ٣٨) هنالك تقرير بالفعل عما حدث بالاضافة الى معنى هذا الحدث : « فصرخ يسوع بصوت عظيم واسلم الروح ، فانشق حجاب الهيكل الى اثنين من فوق الى اسفل » . عندما مات يسوع انشق حجاب الهيكل . الحدثنان حصلا معا . ولكن عندما نأخذ موت يسوع على انه موت بالمعنى الحقيقي للكلمة ، فلا ضرورة لأخذ حكاية انشقاق حجاب الهيكل الى اثنين بحرفيتها . فلربها على الانجيلي بالحجاب ذاك الذي كان يفصل في هيكل اورشليم بين القدس ، حيث كانت تقدم الذبائح يوميا ، وبين قدس الاقداس الذي هو مكان حضور الله غير المنظور ويدخله رئيس الكهنة مرة واحدة في السنة . بموت يسوع ازيل الحاجز الذي يفصل الانسان عن الله والمثل بالحجاب ، ونقض « جدار العداوة » (افسس ٢ : ١٤ - ١٥) . وتحققت النبوءات ، فتم العمل الخلاصي في اللحظة التي فيها « اسلم يسوع الروح » .

ولننظر الآن في الحادثة نفسها كما رواها متى : « فصرخ يسوع بصوت عظيم واسلم الروح ، واذا حجاب الهيكل قد انشق الى اثنين من فوق الى اسفل والارض تزلزلت والصخور تشقق وتفتحت ، وقام كثير من اجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين » (متى ٢٧ : ٥٠ - ٥٣) .

وحده متى دون الآيات التي تلي انشقاق حجاب الهيكل . ولم يرد ان تؤخذ بحرفيتها ولو أخذت كذلك لأرعبتنا : فالوصف ليس وصف شاهد عيان ولكنها وضعت لنقل لنا معنى موت يسوع . وهكذا أضفت متى جوانب جديدة للمعنى الذي أعطانا اياه مرقس . اما صورة الارض المزلزلة والصخور المشققة في التقليد فهي صور وصف بها يوم يهوه (١) . وهكذا أراد الانجيلي ، والتقليد الانجيلي الذي اعتمده متى في رسم صورته ، ان يقول بان يوم الرب قد اتى وهو حاضر الآن وان ما اعلنه الانبياء عن يوم الدينونة ويوم الخلاص قد ابتدا بموت الرب على الصليب . واما صورة فتح القبور وقيامه قديسي العهد القديم فماذا عليها ؟ هل يشير هنا الانجيلي الى قيامة اعازر معهما اياها على عدد اكبر من البشر ؟

وهل يمكن اخذ هذا النص بمعناه الحرفي ؟ لقد اضفى كثير من الابعاء والشرائح المعاصرين على هذا المقطع صفة لاهوتية وليس مدلولاً تاريخياً (٢) ، لأنه بتفسيرنا هذا المقطع تفسيراً حرفياً نفقده كل معناه .

اذن تفسير معاني موت يسوع هو جزء لا يتجزأ من سرد الحدث نفسه . وهذا يعني انه لا يد من الحكم على اي تفسير آخر لموت السيد بالعودة الى التفسير المعطى في الكتاب المقدس . والتفسير الوارد في العهد الجديد هو المقياس لاي تفسير آخر لأن الانجيليين وجدوا ، في التقليد الانجيلي الذي استنقوا منه مادة اناجيلهم ، الوقائع مصحوبة دوماً بتفسيرها ، وان هذا التقليد يعود الى يسوع نفسه وتفسيره هو لمعنى موته .

كلام يسوع ومعناه

وكما رأينا ، الانجيل لا تعطينا وقائع مجردة عن حياة يسوع . فهل تنقل الينا « كلماته الاصلية » دون اية شائبة ؟ الناقد المؤمن بمبدأ العصمة الحرفية للكتاب المقدس ، وكذلك الراديكالي ، يملك كل منهما جواباً سهلاً . فالاول يجيب بالاجاب المطلق واما الثاني فيجيب بالنفي دون تحفظ . وسيؤكد المتطرف في نقد الاشكال الادبسية ان كلام يسوع لم يحفظ كما هو وان ما دون في الاناجيل ما هو الا كلام الجماعة المعبر عن ايمانها . لا يد من التسليم معه بان اقوال يسوع لم تدون في الاناجيل بحرفيتها . مثال ذلك الروايات الاربع عن تأسيس سر الشكر . فهي لا تتناقض في الفجوى ولكننا نجد اختلافاً في العبارات احبانا . لقد تأملت الكنيسة بكلام يسوع في اجتماعات سر الشكر ، وكان الروح القدس هادياً الى فهم معناه الحقيقي . لذلك نجد كلام يسوع في الاناجيل مرفقاً بمعناه .

لقد علم يسوع تلاميذه ودرهمهم واقام الاثني عشر « ليكونوا معه » (مر ٣ : ١٣ - ١٥) . ولعله كرر الاقوال نفسها مراراً خلال وجوده على الارض ودعى تلاميذه الى سماع كلامه (مر ٤ : ٣) اي الى حفظ هذا الكلام والعمل به : « فكل من يسمع اقوالي هذه ويعمل بها اشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر » (متى ٧ : ٢٤) .

« طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه » (لوقا ٢١: ٢٠) . فكلام الله ينقل بكلام البشر . وكذلك الصوت الذي أتى من السموات عند التجلي دعا التلاميذ إلى أن يسمعوا : « هذا هو ابني الخبيب ، فله اسمعوا » (مر ٩ : ٧ وما يوازيها) (٣) .

وعندما نقول بان التلاميذ «تذكروا» كلام يسوع فهذا يعني انهم لم يرددوه مجرد ترديد بل فهموه حق الفهم مما الهب قلوبهم . وهكذا فنقل المعنى الذي يحمله كلام يسوع والحقيقة التي اكتشفتها عن يسوع هو اهم من نقل الكلام حرفيا وبدون تفسير . فكلمات يسوع وكلمات الكنيسة مندمجة تعطي المعنى المطلوب (٤) . ومع ان كلمات يسوع الاصلية لم تتقد ، يلاقى العلماء ، للأسباب المذكورة اعلاه ، صعوبات جمة في اكتشاف الصيغة الاصلية لا قواله (٥) . لقد وحد يسوع نفسه وكنيسته . وحافظت هذه الكنيسة على اعماله واقواله ، كما نقلتها ودونتها في الانجيل . لذلك فالرواية الانجيلية جديرة بالثقة وان لم ترتكز على تدوين حرفي للوقائع .

مع ذلك تبقى المشكلة قائمة في ايجاد مقاييس يعتمد عليها للوصول الى تمييز واضح بين اقوال يسوع وبين صياغتها من الكنيسة ، بين « الاصيل » و « غير الاصيل » من هذه الاقوال ، وكذلك بين عناصرها « القديمة » والعناصر « الأقل قدما » ، علما بان مفهوم الاصلية والقدم غالبا ما يقرره النقاد حسب احوالهم . فما هي الاسباب التي يمكن للنقاد اعتمادها لتعت بعض العناصر بغير الاصلية او بانها قد ادخلت في فترات زمنية لاحقة ؟ احد الاجوبة عن هذا السؤال يكمن في دراسة الالفاظ المتحدرة من اصل يوناني . لذلك لا بد لنا ، الآن ، من بحث موضوع استعمال اللغة اليونانية في فلسطين ايام يسوع .

اللغة اليونانية في فلسطين

يتزع عدد كبير من البحاثة الى القبول بفكرة الفصل بين العناصر الهلينية والعناصر السامية في الانجيل وفي التقليد الذي ترتكز عليه . انهم يفترضون ان يسوع علم بالارامية ، وان فلسطين كانت شبيهة منعزلة في القرن الاول عن التأثيرات اليونانية . وكثيرا

ما يعتبرون التأثيرات الهلنسية غريبة عن التقليد الانجيلي الاصيل وليست ذات اهمية عظيمة ، كونها « حديثة وغير اصلية » . واما نحن فلا يمكننا ان نأخذ بهذا الفصل لأن الشواهد الادبية والاكتشافات الاثرية تثبت ان اليهودية القديمة لم تكن منعزلة تماما عن العالم الهليني المحيط بها . فاللغة اليونانية كانت معروفة في كل فلسطين وكانت لغة التخاطب في بعض البيوت اليهودية ، حتى انه كان يوجد في اورشليم مجمع خاص باليهود اليونانيين (اعمال ٦ : ٩ - ٦) . وهؤلاء هم غير اليونانيين الوثنيين (الامميين) المذكورين في (يوحنا ١٢ : ٢٠) . ويظهر ان يونانيين ، سعدوا الى اورشليم كسواح رغبوا في رؤية يسوع فتقدموا من فيلبس ، احد الاثني عشر ، وعبروا اليه عن رغبتهم . فنقل فيلبس لاندراوس رغبة هؤلاء الوثنيين . انه من الاهمية بمكان ان يحمل اثنان من رسل يسوع ، فيلبس واندراوس ، اسمين يونانيين وان يكونا مكلفين بالاتصال باليونانيين . وهذا يعني امكانية معرفتهما لليونانية والتحدث بها . وثمة تلميذ ثالث كان ملما باليونانية الا وهو متى جابي الضرائب الذي قد يكون ايضا على شيء من معرفة اللاتينية (٧) .

تدل الاكتشافات الاثرية على الانتشار الواسع لليونانية في فلسطين . وشواهد بعض القبور في اليهودية كانت تحمل لغات ثلاث : العبرية والآرامية واليونانية (٨) ، وهناك كتابة باليونانية وجدت على مجمع في اورشليم يرجع عهدا الى ما قبل حراب هيكل اورشليم (سنة ٧٠ م) . وقد يكون هذا المجمع هو نفسه المذكور في (اعمال ٦ : ٩ - ٩) .

على ضوء هذه الشواهد نستطيع افتراض امرين : الاول هو ان الكنيسة المسيحية الاولى في اورشليم كانت تضم بين اعضائها اناسا يجيدون اليونانية ، والثاني ان التقليد المتعلق بيسوع واقواله قد انتشر باللغتين الآرامية واليونانية ، وان اللغة اليونانية قد استعملت في الحقل التبشيري قبل اهداء بولس . يتضح اذن ان التقليد الانجيلي لم يسكب منذ البدء في قوالب سامية « دون شائبة » ، وبالتالي لم يفقد من اصلته عندما نقل الى اليونانية . ومن المرجح ان يكون هذا التقليد قد عبر (بضم العين) عنه باللغتين منذ البدء . ان لهذا الامر نتائج مهمة في مسألة اصلية التقليد الانجيلي

وتاريخيته (١٠) . ولهذا فمن الصعوبة يمكن أن نرفض أصالة كلام
لجهد كونه ذا صفة هلينية .

مقياس عدم التشابه

هذا المقياس يستخدمه ، بشكل خاص ، نقاد الإشكال الأدبية
للحكم على أصالة الأقوال الإنجيلية وللوصول إلى المادة « الأصلية »
الجديرة بالاعتماد . ولا يكفي ، برأي اتباع بولتمان ، الوصول إلى
أقدم شكل لكلام يسوع لتأكيد أصالته . إذ لا يعتبر القول أصيلاً
إلا إذا ظهر أنه غير مشابه لأقوال الربانية الأقدمين ولأقوال التسمية
إلى الجماعة المسيحية الأولى . يقول أحدهم : « لا نستطيع أن
نعبر أقدم شكل لقول ما أصيلاً إلا إذا برهن على أنه غير مشابه
لنقاط التشديد التي تميزت بها اليهودية القديمة والكنيسة
الأولى » (١١) . بهذا المقياس يحاول النقاد اكتشاف شيء يمكن
نسبه إلى يسوع . وهم يبحثون عن يقين مطلق وحكم واضح .
وما نحن تجاه محاولة ولدت في الشك لتنتصر على الشك ذاته .

يمكن استعمال مقياس عدم التشابه كنقطة انطلاق شرط
الإقرار بمحدوديته عند التطبيق . وإذا طبق هذا المقياس بدون تمييز
فالقليل من أقوال يسوع يعتبر أصيلاً . فلا يعقل إلا يكون تشابهه
بين إيمان الكنيسة وتعاليم يسوع . يفترض الآخرون بهذا المقياس
عدم وجود علاقة بين يسوع وبين المسيح والكنيسة لأنهم يعتقدون
بان أقوال يسوع يجب أن تكون مختلفة كل الاختلاف عن الصيغ
الكنسية . وإذا اعتبرنا أن أقوال يسوع التي « تختلف عن طابع
إيمان الكنيسة » هي وحدها أصيلة تقع في حيز اعتبار أمر أساسي
وكانه ثانوي . وذلك فقط لكون يسوع والكنيسة يشتركان في إعلانه .
هذا المقياس يعكس محدودية نظرة هؤلاء النقاد إلى عبقرية
يسوع (١٢) ، وموقفهم المشكك تجاه نوعية المادة الإنجيلية والذين
شهدوا لها .

لا نقدر أن نكتفي بمقياس واحد للأصالة ، خاصة إذا طبق على
نص الإنجيل وهو متعارض مع متطوريته . النهج نفسه ليس مخطئاً
وأما مواقف العلماء واقتراضاتهم . كتب كبير استاذة

العهد الجديد المعاصرين اوسكار كولمان ما نصه : « تكون قد حققنا كسبا كبيرا اذا ما بذلنا جهدا رصينا في الابتعاد عن الاحكام الذاتية ... يجب ان نحرر انفسنا من عادة قياس الحسن النقدي عند مفسري العهد الجديد بعدد الاحكام التي يصدرونها ضد اصالة نصوص كتابية » (١٣) .

ويقترح كولمان بعض المقاييس التي تسمح بتحديد ومعرفة الاقوال المدونة المنسوبة الى « فعل الجماعة » وليس الى يسوع :

١ - ان يكون هذا القول متناقضا مع اقوال اخرى ثبتت نسبتها الى يسوع .

٢ - ان يدل هذا القول على وضع يستحيل حصوله في زمن يسوع .

٣ - ان يكون هذا القول استنادا الى نقد شكله الادبي والمقارنة بين الانجيل السينابقية قد قيل في زمن لاحق لیسوع .

وينبثق كولمان الى عدم كفاية هذه المقاييس والى انه لا تقدم ضمانات اكيدة للتمييز بين اقوال يسوع الاصلية وبين اقوال الكنيسة . فليس من مقياس يسلم من تأثير الاحكام الشخصية (١٤) .

لا تعتد اعمال النقاد الراديكاليين والنتائج التي يتوصلون اليها على رغبتهم في اكتشاف ما يريدون بل على المنظورية التي يستخدمونها في التطلع الى الاحداث الماضية ، والى الفرضيات المعبر عنها وغير المعبر عنها ، والبيادى المتبعة في التفسير . فهم لا يجدون ، مثلا ، صعوبة في تأكيد صحة اسناد الاقوال التالية لیسوع : « قال له يسوع (للرجل الغني) لماذا تدعوني صالحا ؟ ليس احد صالحا الا واحد وهو الله » (مر ١٠ : ١٨) . « ولكن ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعرفهما احد ولا حتى الملائكة في السموات ولا الابن بل الاب فقط » (مر ١٣ : ٣٢) . « وصرح يسوع بصوت عظيم : الذي الوي لما شفتني ؟ الذي تفسره الهى الهى لماذا تركتني » (مر ١٥ : ٢٤) . هذه الاقوال ليست من وضع الكنيسة لان الكنيسة ، حسب زعمهم ، لا يمكن ان تكون قد ابتدعتها في صلواتها (١٥) .

ويظن هؤلاء النقاد أيضا بأن بعض اقوال يسوع الأخرى قد تكون غير أصيلة ، معتمدين على فرضيتهم أن يسوع التاريخي لم يكن يستطيع التلفظ بها ، ضاربين عرض الحائط بالنقد الأدبي والتاريخي . ومعظم هذه الأقوال ما يشير إلى تساوي يسوع مع الله . وهم يعتقدون بأن كلام « يسوع التاريخي » وحده أصيل وجدير بالاحترام . ويفترضون تطورا تاريخيا في التقليد الانجيلي من « الأدنى » إلى « الأعلى » ، أي من صورة يسوع البشرية البسيطة إلى صورته السماوية الالهية . ويعتبرون أن كل ما هو انساني قديم وأصيل وأما ما هو الهي فمستجد وغير أصيل . لذلك ينظرون إلى كلام السيد الناهض من القبر على أنه غير أصيل ، إذن هو غير تاريخي . وبالتالي فسلطة المسيح الناهض أقل أهمية من « يسوع التاريخي » .

يبدأ الباحث في مشكلة الاصلة عمله على اساس فرضيات مسبقية . وهذا لا يعني أنه يرى نتائج بحثه مسبقا لكنه يسير في بحثه معتادا بعض المبادئ . وعلم الكتاب المقدس كسائر العلوم يعتمد بعض الفرضيات المسبقة (١٦) . ومن المعلوم أنه ، في حقل البحث التاريخي ، لا يمكن الوصول إلى الموضوعية المطلقة مع وجوب السعي إليها دوما . يقول الاب جورج فلورنسيكي : « على المرء أن يفحص فرضياته وآراءه المسبقة بحزم وثقة ، دون أن يجرده عقله من كل الفرضيات . فمحاولة كهذه ستكون بمثابة انتحار للعقل وتعطيل لامكانياته الفكرية » (١٧) . وأخطر أنواع الفرضيات الظن بأن العقل خال منها . عندما لا توافق على فرضيات بعض المفسرين فهذا لا يعني أن ليس عندنا فرضيات أخرى . كل ما في الأمر أننا ننتج أسس تفسيرية مختلفة عما يتبعون ، وهذه الاسس يجب ان تبنيها بكل وضوح .

المفسر المسيحي حر في بحثه لكن ضمن اطار معين هو التقليد الكنسي يرمته من كتابي ولينورجي وعقائدي . الكتاب المقدس ليس حقلا علميا قائما بذاته لأن معناه معلن في حياة الكنيسة . ولذلك يجب ، في رأينا ، أن يتبع كل مفسر للمعهد الجديد المبادئ والفرضيات التالية :

١ - الكتاب المقدس معطى ويجب ان يفهم ضمن اطار التقليد الكنسي .

— هناك وحدة بين العهد القديم والعهد الجديد ، أنها
الوحدة بين عهود الله وتحقيقها .

— يسوع هو مؤسس الكنيسة التي هي جسده .

— يسوع التاريخي هو نفسه الرب الناهض من بين الاموات .

الآن سندرس كلام من هذه المبادئ بايجاز .

الكتاب المقدس والتقليد

ان كمال الايمان معطى في الكتاب المقدس . لذلك لم يتزدد
آباء الكنيسة في القلم عن « كفاية الكتاب المقدس » . فبالنسبة
للقدّيس اثنا سيوس ، الكتاب المقدس « كاف لإعلان الحقيقة » . وبعد
تعداده لاسفار العهد الجديد الـ ٢٧ في رسالته الـ ٣٩ سنة ٣٦٧ ،
يؤكد القدّيس على ان هذه الاسفار « هي ينبوع الخلاص فليقبل
إيها كل ظمآن ليرتوي بكلامها . ان فيها وحدها اعلنت عقيدة التقوى ،
فلا يزدن احد عليها شيئا ولا ينقصن منها شيئا » (١٨) . لكن
الآباء لم يعتبروا ان الكتاب يفسر نفسه بنفسه لأن نظرتهم الى الكتاب
لم تكن تنفي بل بالعكس تؤكد الارتباط العضوي بين الكتاب المقدس
وبين الكنيسة وتقليدها . فالكتاب أئبق من التقليد . والكتاب المقدس
والتقليد كلاهما ملك الكنيسة . ليس عهد جديد بدون الكنيسة
ولا كنيسة بدون وحي الانجيل وإعلانه . وما التقليد الشريف سوى
تطبيق للكتاب المقدس في حياة الكنيسة . وما يميز شهادة الكتاب
المقدس من كل الشهادات اللاحقة هو انه فيه دون (بضم الدال)
الإعلان الالهي ، وهو المقياس الذي بموجبه تحكم الكنيسة على كل
التعابير اللاحقة للحقيقة الالهية .

يحيا الكتاب المقدس في التقليد وفيه يظهر معناه لأنه منه
اتي (١٩) . لذلك لا يمكن للواحد ان يناقض الآخر او يخضع له
كما أنه لا استطاع عزل الكتاب عن حياة الكنيسة (٢٠) . فقد
تعرضت الكنيسة دوما في تاريخها لتجربة اعتبار الكتاب المقدس وكأنه
« قائم بذاته » ، وبالتالي النظر الى النمو العقائدي والليتورجي
كعلامات ابتعاد عن « صفاء الانجيل ونقاوته » ، في حين يأتي هذا
النمو من بذور الانجيل ذاته .

الوحدة بين العهد القديم والعهد الجديد

اعلن مؤتمر الدراسات المسكونية الذي عقد العام ١٩٤٩ في أكسفورد (انكلترا) « ان وحدة العهدين القديم والجديد ليست قائمة على تطور طبيعي ولا على تماثل تعوزه الحياة والحركة انما على فعالية عمل الله الخلاصي في تاريخ شعب واحد بلغ كماله في المسيح . لذا فمن المهم جدا ان نفسر العهد القديم على ضوء الاعلان الكامل في شخص يسوع المسيح كلمة الله المتجسد الذي منه انبثق كل ايمان الكنيسة بالثالوث » (٢١) . يسوع لم ينقض العهد القديم ولم يبطله بل حققه . وهكذا فالعهد الجديد ليس ملحقا او فضلا تفسيريا للعهد القديم ، انما تمته وتحقق لوعده ومفتاح لمعناه . بعد تحقيق الانتظار الماسياني اصبحت بالامكان فهم العهد القديم في ضوء المسيح .

كثيرا ما يعود الانجيليون الى نصوص العهد القديم لوصف حدث ما او لتفسيره . والمسيحيون الاولون كذلك كانوا ينطلقون من يسوع الى العهد القديم مختارين مقاطع العهد القديم الواجب استخدامها على ضوء تاريخ حياة يسوع . فيسوع كان المرجع بالنسبة اليهم والكتاب المقدس شاهد لهذه الاولية . لقد نظروا الى العهد القديم على ضوء المسيح الذي حققه ، وهذه هي النظرة الوحيدة التي كان بإمكان الكنيسة اتخاذها .

يسوع والكنيسة

تؤكد الانجيل ان يسوع هو مؤسس الكنيسة ، وما القصد من اختيار الرسل الا الشهادة على ان يسوع اراد للكنيسة ان تتابع عمله . وقد وعدهم بعد القيامة بأنه سيكون مع خاصته « الى انقضاء الدهر » (متى ٢٨ : ٢٠) . الكنيسة هي جسد المسيح ، فيها يحيا وعليها يسود (٢٢) . وهو الذي اودع كلمات واعماله في الكنيسة التي اسسها ، وليس في جماعة مجهولة اخطقت خرافات واساطير عنه .

« يسوع التاريخ » و « مسيح الايمان »

كما اننا لا نستطيع الفصل بين الكتاب المقدس والتقليد ولا الفصل بين يسوع وكنيسته ، كذلك لا يمكن الفصل بين « يسوع »

و «المسيح» . فاذالم يكن مسيح الكرازة يسوع الناصري نفسه فلا بد انه شخص اسطوري . وفي هذه الحال تكون البشارة الانجيلية غير متجدرة في حدث تاريخي ، بل ناتجة عن تقرير خاطيء وخيالي .

لقد بقى الرسل بالمسيح الناهض من بين الاموات دون ان يهملوا تاريخ حياة يسوع . ولهذا كان موضوع بشارتهم لليهود وللأمم هو الرب القائم ويسوع التاريخ في آن واحد . ولما اعلنبوا لليهود قيامة يسوع ركزوا على « يسوع هذا » : « يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما انتم ايضا تعلمون ، هذا اخذتموه مسلما بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدي ائمة صلبتموه وقتلتموه . . . يسوع هذا اقامه الله ونحن جميعا شهود لذلك » (اعمال ٢ : ٢٢ — ٢٣ ، ٣٢) .

« يسوع هذا » كان ايضا نقطة التركيز في البشارة الى الامم : « ونحن شهود بكل ما فعل في كورة اليهودية وفي اورشليم . الذي ايضا قتلوه معلقين اياه على خشبة . هذا اقامه الله في اليوم الثالث واعطى ان يكون ظاهرا » (اعمال ١٠ : ٣٨ — ٤٠) . لا يوجد عند هؤلاء الشهود العيان للقيامة اى فصل بين يسوع الذي دعاهم عندما كان مارا على شاطئ بحر الحليل وبين الرب الذي عاينوه بعد القيامة وسجدوا له . بذلك يؤكدون ان العلاقة بين يسوع التاريخ والمسيح الناهض من بين الاموات ليست نتيجة تطور تاريخي ، بل يسوع هو بالحقيقة المسيح .

بالرغم من ان لقب « الرب » Kyrios اطلق على يسوع بعد القيامة ، ينسب اليه لوقا الانجيلي هذا اللقب حتى قبل الصلب والقيامة (لو ٧ : ١٣ ، ١٠ : ٣٩ — ٤١) . في عمله هذا ، لم يسع لوقا الى تزوير التاريخ ، لكنه ارتكب الاخطاء نفسها التي يرتكبها المؤرخون عندما يتحدثون عن احداث ماضية على ضوء التجربة الحاضرة . فامتد نور القيامة الى كل احداث حياة يسوع السابقة . عندما اعطى الانجيلي لوقا لقب « الرب » ليسوع قبل موته وقيامته ، عبر بذلك عن ايمانه وايمان الكنيسة بان المسيح الناهض من القبر هو بالفعل يسوع الناصري .

هذه المبادئ الموجهة تعطي للمفسر المسيحي منظوريتته بل وجهة نظر في دراسته للإنجيل ، مما يؤهله بعد ذلك الى طرح الاسئلة التالية : ما هو الإنجيل وما الحاجة التي دعت الى كتابته ؟ ما هي القيمة التاريخية للإنجيل ، وما يمكننا ان نتعلمه منها عن يسوع وتعاليمه ؟ وما نوع الشهادة التي تحملها عن يسوع ؟ والاهم من كل ذلك ، من هو يسوع ؟ في معالجتنا لهذه المواضيع سنأخذ في حسابنا آراء بعض النقاد الكبار المعاصرين .



الفصل الثالث

الانجيل والاناجيل

عندما نستعمل كلمة « انجيل » تتبادر الى ذهننا فكرة كتاب منسوب الى احد الانجيليين ، وقراءة الانجيل في الكنيسة اثناء الخدمة تعني قراءة من احد الكتب الاربعة المدعوة بالاناجيل . بيد ان هنالك معنى آخر ، وهو ان الفصل الذي يتلى يحمل الانجيل ، اي البشارة او رسالة الخلاص للذين يصغون اليها .

اذن ، كلمة انجيل تدل على معنيين : النص المدون والبشارة التي حملها يسوع الى العالم .

تاريخ كلمة « انجيل »

لقد حافظت الكنيسة على هذين المعنيين واستعملتهما منذ القرن الثاني الميلادي . اما في القرن الاول ، وبالتحديد في الفترة التي كتبت فيها الاناجيل ، فكلمة انجيل لم تكن تستعمل للدلالة على كتاب . ولا يوجد مثل واخذ على ذلك الاستعمال في العهد الجديد كله . وسواء استعملت الكلمة بصيغة « الانجيل » او بصيغ اخرى مثل : « انجيل الرب » او « انجيل المسيح » ، فانها كانت تدل دائما على

البشارة التي اعلنها يسوع واتى بها الى العالم ، والتي حققها في حياته وموته وقامته . هذا المعنى الاخير لكلمة انجيل يوازي معنى (Kerygma) اي الكرازة الرسولية عن يسوع (١) .

هناك صيغة اخرى لهذه الكلمة الفناها بالرغم من عدم وجود اي شاهد عليها في العهد الجديد . هذه الصيغة هي صيغة الجمع اي « الانجيل » . ولكن كتاب العهد الجديد لم يستخدموا ابدا هذه الصيغة لانهم لم يستعملوا اطلاقا كلمة انجيل للدلالة على كتاب . بولس الرسول كتب الى الاعضاء الجدد في كنائس غلاطية موصيا بالا ينصرفوا عن الانجيل الذي اعلنه لهم الي « انجيل » آخر لانه لا يوجد « انجيل آخر » . وتابع قائلا : « ان كان احد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن مبسلا » . ويؤكد مؤلف الرسالة الى اهل غلاطية انه لا يركز بالانجيل الذي « على سنة البشر » ، لكن بالانجيل الذي « قبله باعلان يسوع المسيح » (غلا ١ - ٣٠ - ٩) . اول دليل على استخدام كلمة انجيل في صيغة الجمع يوجد في كتابات القديس الشهيد يوستينوس في اواسط القرن الثاني . ويستعملها للدلالة على الكتب الاربعة التي دونت فيها اقوال يسوع واعماله (٢) .

بالرغم من ان كلمة « انجيل » لم تستعمل في العهد الجديد بمعنى « الكتاب » ، فقد استعملها القديس مرقس في مطلع انجيله قائلا : « بدء انجيل يسوع المسيح ابن الله » (مر ١ - ١) . لكنه لا يقصد بداية الكتاب انما ابتداء « بشارة الخلاص » التي انطلقت بكراسة يوحنا المعمدان في البرية ودعوته الى التوبة .

ما هو اصل كلمة « انجيل » ؟ هذه الكلمة ، كغيرها من العبارات الكثيرة الواردة في العهد الجديد ، كانت متداولة في العالم الروماني وكانت تشير الى ميلاد الملك Euaggelion ، ولم تبتكرها الكنيسة الاولى . يوجد نقش مهم يعود الى السنة التاسعة قبل الميلاد يحمل العبارات التالية : « لقد حمل ميلاد « الملك » الاله الى العالم بشائر الفرح (Euaggelia) الملازمة دائما له » . كذلك كانت تستعمل الكلمة ذاتها للإشارة الى قصة حياة الملك (٣) . وكانت ترد هذه الكلمة في العالم الروماني بصيغتي المفرد والجمع بخلاف العهد الجديد حيث لم ترد بصيغة الجمع .

لقد أخذ الإنجيليون وكتاب (بتشديد التاء) العهد الجديد الآخرون عبارة متداولة ووضعوها في سياق جديد فاكسبت منه معناها الجديد . وهذا المعنى خدده العهد القديم ويسوع نفسه الذي لم يكتب بأعلان بشارة الخلاص بل أصبح نفسه محتواها ومضمونها . وقد يكون المعنى الذي نعطيه لكلمة « أنجيل » مستقى من نصوص العهد القديم وخاصة (اشعيا ٤٠ - ٦٦) . يقول النبي : « ما اجمل على الجبال قدي الميشر ، المخبر بالسلام ، الميشر بالخير ، المخبر بالخلاص ، القائل لصهيون : قد ملك الهك » (٥٢ : ٧) . نلاحظ في هذا المقطع ان الفعل العبري Bissar قد ترجم الى السبعينية بفعل (euangelizomai) ، الذي يعني « بشر » بالأخبار السارة . ومع ان العهد القديم لا يستخدم اطلاقا الاسم العبري المرادف للأبسم اليوناني Euaggelion فمن الأرجح ان يكون معنى هذه الكلمة في العهد الجديد قد اشتق من النص العبري للكتاب المقدس أكثر منه من الطقوس الرومانية الخاصة بالامبراطور . فانجيل مرقس الذي يقدم يسوع وعمله الخلاص كتحقيق لوعود الله ولأماني الشعب يستخدم عبارة « أنجيل » ليشير الى الموضوع الاساسي لبشارة يسوع (٤) .

في الآرامية اسم مرادف لكلمة (Euaggelion) ، ومع ذلك يميل الباحثون الذين ينكرون على يسوع وعيه انه ماسيا ، الى الجزم بان يسوع لم يستخدم هذه الكلمة ابدا . أما الباحثون الذين يؤمنون بان الانجيل وثائق تاريخية فلا يجدون صعوبة في اسناد الكلمة الى يسوع . اذا كان يسوع واعيا انه ماسيا - كما تشهد الاناجيل - فلا بد ان يكون عارفا بانه افنتح ملكوت الله وان رسالته هي رسالة الخلاص ، لذلك من الصعوبة بكان القول بانه لم يستعمل الكلمة الآرامية المرادفة لكلمة (Euaggelion) (o) .

خلافا لكلمة « أنجيل » ، فالانجيل المكتوب هو من وضع الجماعة المسيحية الاولى وشكله الأدبي غير مقتبس عن العالم الهليني . ولا يوجد في العالم انجيل تشابهه . وهذا يعني ان المسيحيين الاولين باقتباسهم كلمة « أنجيل » لم يقتصروا على اعطائها معنى جديدا بل صاغوها في أدب فريد متوافق مع فرادة شخص يسوع (٦) .

لقد ظهر الانجيل المكتوب جوابا لاحتياجات الكنيسة . وقد حان

الاولان في النصف الثاني من القرن الاول لاستخدام الشكليات الشفهية والكتابية من اجل نشر رسالة الخلاص . وكذلك تطلب ازدياد المد المسيحي ايجاد نصوص لتعليم المهتمين وللعمل التبشيري . وقبل كل شيء ، قوى غياب التلاميذ عن المسرح التاريخي رغبة الجماعة المسيحية بالانجيل ، تلك الكتب التي تحمل طابع السلطة الرسولية .

لم يترك يسوع كلمات مكتوبة بل اودع رسالته تلاميذه الاثني عشر الذين لازموه وتعلموا عليه . وبعد حوالي ٣٠ سنة من الكرازة والتعليم الرسولين ظهر اول انجيل مكتوب . ومقدمة انجيل لوقا (١ : ١ - ٤) توحى بقوة ان هنالك ثلاث مراحل في نمو الانجيل : اولاً : احداث حياة يسوع واعماله ، هذه «الاحداث التي جرت بيننا» . ثانياً : قبول هذه «الاشياء» ونقلها بواسطة الشهود العيان وخدام الكلمة ، وهذا ما كان عمل الرسل بعد القيامة . وفي هذه الفترة اصبح الاثنا عشر رسلا بكل ما في الكلمة من معنى . أما الخطوة الثالثة والاخيرة فكانت كتابة الانجيليين لانجيلهم .

الانجيل والانجيليون

لقد نسبت الكنيسة الاولى الانجيل الاول الى متى والانجيل الرابع الى يوحنا ، وهذان تلميذان ليسوع . واما الانجيلان الاخران الثاني والثالث فهما لمرقس ولوقا اللذين لم يكونا من التلاميذ الاثني عشر بل من مسيحيي القرن الاول .

ولا يختلف البحاثة المعاصرون كثيرا حول زمن ومكان تأليف الانجيل . فانجيل متى كتب (بضم الكاف) بعد سقوط اورشليم سنة ٧٠ م ، وقد يكون ذلك في انطاكية حيث كانت الجماعات المسيحية تتألف من اليهود والامميين . وانجيل مرقس ، تلميذ بطرس ، كتب في روما قبل سقوط اورشليم وبعد موت بطرس السنة ٦٤ . اما لوقا ، رفيق الدرب لبولس ، فكتب انجيله بعد سقوط اورشليم بما يقارب العشر او الخمسة عشر سنة ، وشهد جنوب اليونان ظهور هذا الانجيل . ولنأت الى يوحنا بن زبدي ، حبيب الرب والشاهد العيان لأعمال يسوع وتعاليمه ، فنجد انه كتب انجيله قبل نهاية القرن الاول ويظن ان ذلك تم في افسس (٧) .

كل انجيل من الاناجيل الاربعة كتب لههدف معين . متى وجه انجيله الى المسيحيين من اصل يهودي . لذلك شدد على ان المسيح هو ماسيا المنتظر . لابل هو اعظم منه لانه ، بالاضافة الى كونه « ابن داوود » فهو ابن الله الوحيد . وبما ان الكنيسة اعترفت به وقبلته فهي اذن اسرائيل الحقيقي . اما انجيل مرقس فيشدد على ان يسوع هو ماسيا المنتظر ، لابل هو اعظم منه لانه ، بالاضافة الى كونه « ابن للامميين نجده مليئا بالاشارات الى العهد القديم ، هذه الاشارات التي لا بد من اخذها بعين الاعتبار للوصول الى فهم صحيح لأجزاء عديدة من هذا الانجيل . وثمة انجيلي آخر كتب للامميين . هذا الانجيلي هو لوقا مؤرخ الكنيسة . ولوقا في كتابه ، الانجيل واعمال الرسل ، قسم تاريخ الخلاص الى مراحل ثلاث : المرحلة الاولى هي التحضيرية تليها مرحلة عمل يسوع واخيرا يأتي زمن الكنيسة الذي يبدأ بالعصرة ويدوم الى اليوم الاخير . ولقد اكد هذا الانجيلي بشدة على ان يسوع هو مخلص العالم . اما الانجيل الرابع فقد وصفه اسرائيل ابراهامس بانه « الاكثر يهودية بين الاربعة » . غير انه ، بمعنى من المعاني ، الانجيل الاقل يونانية والاقبل يهودية بين الاربعة . فلا لليهودي ولا اليوناني يمكن ان يكونا قد كتبا هذه العبارة : « والكلمة صار جسدا » (يو ١ : ١٤) . انجيل يوحنا يكشف لنا هوية المسيح ومعنى مجيئه بالنسبة للعالم والكنيسة والانسان . يجب الانغالي في التأكيد على الصفات الخاصة لكل انجيل والتي نشأت من اختلاف الظروف التاريخية في الكنائس المحلية والتقاليد التي استقى منها كل من الانجيليين انشاء تأليف انجيله . فالاناجيل الاربعة تشهد كلها ليسوع ، وكلها تؤكد انه حقق كل مرجوات العهد القديم .

يعترف الانجيليون كلهم بان يسوع هو ابن الله المتجسد ، الا ان كلاً منهم يتناول هذا الاعتراف على نحو مختلف . فحسب روايتي متى ولوقا للبشارة ، الاتي هو ماسيا الاله المتجسد بين البشر . « هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعى عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا » . هذا نجده في (متى ١ : ٢٢) . وفي (لو ١ : ٣٢) : « هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب كرسي داوود ابيه ، ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون الملكة نهاية » . وتتكلم مقدمة انجيل يوحنا عن ظهور كلمة الله وعن سر التجسد . وهذا ما يظهره

كذلك مرقس في كلامه عن المعمودية يسوع ، فيقول : « ولوقت ، وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلا عليه . وكان صوت من السماء يقول : انت ابني الحبيب الذي به سررت » (مر ١ : ١٠) . لم يتبن الله يسوع في المعمودية انما أعلن ان يسوع هو ابنه الأزلي . قيوم المعمودية يسوع هو يوم الظهور الإلهي (٨) . وهكذا يتضح ان الانجيليين الأربعة يشتركون في اظهار فعل التجسد لكن كل واحد منهم يعبر عنه بطريقة الخاصة . وهكذا فان اختلف الانجيليون في طرحهم للأمور والتعبير عنها ، فانهم متحدون في اشتراكهم بتقليد الكنيسة والإيمان بايمانها ، واتخاذهم إيمان وحياة الكنيسة مرجعاً لهم في كل ما يختص بانتقاء ورصف موادهم . لا نستطيع ان نعتبر الانجيليين مؤلفين لأنجيلهم بالمعنى الحديث للكلمة لأن المؤلف المعاصر مسؤول كلياً عن شكل عمله ومحتواه . اما مسؤولية الانجيليين فهي من نوع آخر ، لأنهم استنقوا نماذجهم من الكرازة الرسولية واقتبسوا معلوماتهم من التقاليد المتعلقة بيسوع . كانوا اعضاء في الجماعة المسيحية وعبروا عن إيمان الكنيسة . فكتب كل منهم انجيلاً من أجل الكنيسة ، فاصبح الانجيل كتاب الكنيسة الذي فيه يتجسد إيمانها . غير ان الانجيليين لم يكونوا ناقلين للتقليد وحسب بل كانوا « شهود عيان للإيمان » . وبالرغم من الهام الروح القدس لهم عبروا بمصطلحات مختلفة . كتب القديس باسيليوس الكبير : « الروح القدس لا يحرم احداً قدرته على التفكير ولا حريته . الشيطان وحده يفعل ذلك » . اذن تؤكد الاختلافات بين الاناجيل في آن صحة الهام الانجيليين وقوة استجابتهم الشخصية للإعلان الإلهي (٩) .

المسألة السينائية

تعرف الاناجيل الثلاثة الأولى بالاناجيل السينائية (١) ، لأنها اذا وضعنا محتوياتها في ثلاثة اعمدة نلاحظ توافق هذه المحتويات الى درجة استخدام الكلمات عينها في وصف اعمال يسوع وتدوين اقواله . ويشكل مدى التوافق او الاختلاف بين موادها « المسألة السينائية » بالذات . ويوافق معظم علماء الكتاب على ان انجيل مرقس هو الاول بين الروايات المدونة عن يسوع وان متى ولوقا

(١) من «Synoptiques» . ويمكن استعمال ايضاً عبارة « المتماثلة » .

عرفا هذا الانجيل وكان احد مصادر انجيليهما . واستنادا الى المواد المشتركة بين متى ولوقا وغير الموجودة في مرقس ، قال العلماء بان متى ولوقا استخدموا مصدرا آخر يدعى Q (الحرف الاول من كلمة Quelle الالمانية التي تعني مصدرا) . هذا المصدر فقد فور افادتهما منه ، ولا يزال الخلاف قائما حول محتوياته . يضاف الى ذلك ان متى اعتمد مصادر خاصة به يرمز لها بالحرف M . وكذلك لمرقس مصادر الخاصة ويرمز لها بالحرف L . ومع ان معظم نقاد العهد الجديد يأخذون بأهم فرضية في هذه النظرية ، اي باسبقيية الانجيل الثاني ، فان بعض العلماء الكاثوليك يسلمون باسبقيية النص الآرامي لانجيل متى . ويقولون بان متى وضع انجيله بالآرامية حوالي السنة ٥٠ م مباشرة قبل ظهور مجموعة آرامية لأقوال يسوع ، ولم يطل الوقت حتى نقل الانجيل الآرامي وكذلك المجموعة الى اليونانية . ومن المفروض ان تكون قد ظهرت في وقت قصير ترجمت عدة يونانية لانجيل متى ، فعرف مرقس واحدة منها واستخدمها في كتابة انجيله . لكنه لم يكثر من اقوال يسوع الموجودة في الانجيل الاول كما انه لعدم اطلاعه على المجموعة الخاصة لم يلجأ إليها . وبعد اكمال انجيل مرقس لجأ احد المسيحيين المجهولي الهوية والذي قد يكون تلميذا لمرقس ، الى ترجمة النسخة العبرية الى اليونانية . وفي عمله هذا استخدم انجيل مرقس معيدا اليه الاقوال التي كان مرقس قد حذفها ومضيفا اقوالا مستقاة من المجموعة الخاصة Q ، فكان انجيل متى بشكله الحالي . اما لوقا فاستخدم مرقس والمجموعة الآرامية ومعلوماته الخاصة التي وجدها خلال بحثه عن التقاليد الانجيلية الاولى (١٠) . ان الرأي القائل باسبقيية النص الآرامي لانجيل متى يبدو نظريا اكثر من الرأي القائل باسبقيية انجيل مرقس .

اعترض ، جديا ، في السنوات الاخيرة على نظرية المصدرية لأنها لا تعطي التقليد الشفهي حقه ولأنها تعتبر عملية تكوين الاناجيل مشكلة ادبية صرفة . وقد ظهرت نظرة جديدة الى تكوين الانجيل ، وهي لا تزال في طور النمو ، تعتمد التقليد الشفهي والتقليد الكتابي ، دعاهما اصحابها بـ « نظرية الوثائق المتعددة » . هذه النظرية تستند الى الفرضية القائلة بأن مجموعات اقوال يسوع واعماله قد ترجمت الى اليونانية في وقت مبكر وان الانجيليين اعتمدوا هذه المجموعات . المهم في هذه النظرية انها تؤكد على وجود اتصالات بين المصادر الانجيلية قبل تأليف الاناجيل . وبالتالي فان التأثيرات

والاحتكاكات الأدبية حصلت قبل كتابة انجيل مرقس وليس بعده ،
أي « بين وثائق سابقة للمواد المستعملة في الأناجيل السينائية والتي
كانت قد انتظمت آنذاك على نحو منهجي تقريبا » (١١).

وقصارى القول ، أن نظرية المصدرين مبنية على مبدأ الاقتباس
وبالتالي فإن متى ولوفا اقتبسا من مرقس . أما التمسكون بنظرية
الوثائق المتعددة فيعتبرون أن نظرية المصدرين ذات اتجاه واحد
وصارم ويرفضون كل الحلول المبنية عليها . وهم يعتقدون بوجود
مصادر سابقة للأناجيل ، ومهمة النقد الكتابي تمييز هذه المصادر
وتحديدها ، ولكن هذا العمل لا يزال بعيدا عن التحقيق .

يشارك انجيل يوحنا مع الأناجيل السينائية في التصميم العام
المنشق من الكرازة الرسولية المتعلقة بأعمال الله الخلاصية . بيد أن
هذا الإنجيلي قد وضع هذا التصميم بمعزل عن الأناجيل السينائية ،
مدرجا في إنجيله تقاليد خاصة ، لا تعتمد المصادر السينائية ، ولكنها
ليست أقل أصالة منها ، بل قد تقترب من الأحداث الأصلية أكثر منها .
كذلك فالنقل الذي ارتكز عليه الإنجيل الرابع منفصل عن التقليد الذي
أخذ منه متى ومرقس ولوفا معلوماتهم ولكنه مشابه له . لقد آمن
الإنجيليون النظر جيدا في مصادرهم وصيغوا أناجيلهم بصيغتهم
الخاصة وقد فاق يوحنا أقرانه بذلك . وقيل عن إنجيله أنه « بحسب
الروح » ، وبعثت الأناجيل الناقصة بانها « بحسب الجسد » . لكن من
الخطأ الاستنتاج من هذه التعويث أن الإنجيل الرابع لا قيمة تاريخية
له . فقوله : « والكلمة صار جسدا » يظهر أن ما كان يعلن عنه
ذا مغزى لاهوتيا وتاريخيا على حد سواء إذ لا بد للأحداث الإنجيلية
أن تكون حقيقية ، أي أن يكون بالإمكان إثباتها تاريخيا لكي تكتسب
معنى لاهوتيا .

هل تعد الأناجيل سيرة ؟

تعرض صورة المسيح في الأناجيل من خلال عناصر تاريخية
وسريه . ومع ذلك لا يمكن تصنيف الأناجيل كسيرة أو ترجحات
لحياء يسوع . فالسيرة الحديثة لا تكمل بدون كشف الدافع الداخلي
عند الإنسان الذي تكتب سيرته . في الأناجيل لا توجد أية مادة

يمكن استخدامها لتحليل النمو النفسي ليسوع . فعمودية يسوع ، مثلا ، لم تأت نتيجة لاستيقاظ الوعي الماسياني عنده أو لإدراكه انه قد اختير ليكون ماسيا بل كإعلان وككشف للتجسد وإشارة الى حضور الله على الأرض وتحطيم الحجاب بين الله والانسان .

لم تتناول الكنيسة أبدا ان توجد سيرة ليسوع ، لأن « سيرة » كهذه محكوم عليها بالفشل ، هذا الفشل الذي لا يعود فقط الى عدم توافر المصادر بل الى صعوبة الشخص الذي تعكسه لنا . كتابة سيرة يسوع تعني زجتم الوجهة الانسانية لشخص يسوع وهذا يفترض بالتالي فشل يسوع الانسان عن يسوع الاله . وهذا الامر مستحيل وباطل في ذاته إذ لا انفصال في المسيح بين الانسان والاله (١٢) . ان فصلا كهذا أدى على الصعيد اللاهوتي الى النسطورية ، وعلى صعيد البحث الكتابي الى ما يسمى « بسيرة يسوع » التي ظهرت في القرنين التاسع عشر والعشرين . الكنيسة تؤمن بان كلاً من النسطورية و « سر يسوع » قدمتا صورة متباينة لصورة المسيح الإنجيلية .

وهكذا يسوع لم يطلب قط من تلاميذه ان يدونوا سيرة حياته . لقد اعطاهم سلطانا لطرد الشياطين (مر ٣ : ١٤ - ١٥) ولشفاء المرضى (مر ٦ : ١٢ - ١٣) ولإعلان بشارة ملكوت الله (متى ١ : ٧ ، لو ٩ : ١ - ٢) . وطلب منهم بعد القيامة ان يعمدوا كل الامم : « اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ، وعلموهم ان يعملوا بكل ما اوصيتكم به » (متى ٢٨ : ١٩ - ٢٠) . وعندما سأله تلاميذ يوحنا المعمدان : « هل انت الذي يجي ء ام ننتظر آخر ؟ » (متى ١١ : ٣) لم يقدم لهم أية معطيات عن ماسيانيته بل لفتهم الى أعماله : « ارجعوا واخبروا يوحنا بما تسمعون وترون : العميان يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والوتى يقومون والمساكين يتلقون البشارة » (متى ١١ : ٤ - ٥) . هذا ما نحدده في الاتاحيل وليس سيرة منهجية ليسوع .

رب قائل بان « السيرة » لم تكن اسلوبا من الأساليب الكتابية التي اولها اليهود اهتماما ونحن نعلم بان التلاميذ جميعا كانوا يهودا ، وان الانجيليين ، ما عدا لوقا ، كانوا من اصل يهودي . كتب

غرانت بهذا الشأن : « لم يحظ أي نبي أو حكيم أو كاتب أو ريسان بسيرة كاملة » (١٣) . لكن بسبب تأثير يسوع على أتباعه وكتابة الانجيل خارج فلسطين حوت بعض عناصر السيرة لكنها لا تعتبر اطلاقاً سيرة .

لا تقدم وثائق العهد الجديد سوى وصف موجز لشخص يسوع لأنها ، اصلاً ، لم تكن تبغي العناية بالوصف الأدبي ولا برسم صورته فوتوغرافية ليسوع ، بل أظهر وجهه الحقيقي ، مخالفة بذلك الكتب الابوكريفية التي يظهر فيها الوصف الأدبي واضحاً (١٤) . وكذلك الانجيل فانها لا تقدم لنا صورة فوتوغرافية لأن صورة كهذه تظهر الشخص في لحظة معينة من حياته فقط ، أي انها صماء يكما عما حدث قبل وبعد تلك اللحظة . كما انه يمكن استخدام الصورة الفوتوغرافية « لتثبيت أو نفي رواية الشاهد العيان دون أن تتمكن من الحصول عليها » (١٥) . وكثيراً ما شُبهت الانجيل باليقونة حتى دعيت بـ « الايقونة الكلامية » للمسيح . وهذه الايقونة ليست من ابداع مواهب الانجيليين بل نتيجة اتباع التقليد الذي به كانوا ملين وفيه مشاركين ومنه استقوا كل مواد انجيلهم .

مهمة الانجيليين المزدوجة

لقد اعترض الكثيرون على تحيز هذه الروايات عن حياة يسوع وشككوا في قيمتها من الوجهة التاريخية . ولا يخفي الانجيليون تأثر انجيلهم بالقيامة . ولولا قيامة المسيح لما كان هناك كنيسته ولا انجيل . وتسجل لنا الانجيل أحداث الماضي في ضوء القيامة . هذه هي نظرتهم ولا يمكن التاريخ بدونها . يقول الاب جورج فلورنسكي : « اننا لا نقدر ابدأ أن نتذكر ماضينا القريب كما عشناه تماماً لأنه لو كنا نتذكر ولا نحلم لكنا نتذكرنا الأحداث الماضية بمنظار التحولات الكثيرة التي طرأت علينا بعدها » (١٦) . القيامة هي التي اعطت للاحداث معناها وهي التي غيرت البشر وحولت المؤسسات . فحل محل فريضة السبت الاحتفال بيوم القيامة وأضحى يوم الأحد ، وليس السبت ، اليوم « الذي صنعه الرب » وصار يعتبر هو تاج الاسبوع ، كل شيء أصبح جديداً وتغير بعد القيامة . فالرسل الذين اظهروا الحين في اسبوع الالام ، غدوا بعد القيامة

شهودا لا يهابون احدا . وقد دهش رؤساء اليهود وشيوخ الشعب من جرأة بطرس ويوحنا (اعمال ٤ : ١٣) . الم يعلن بطرس بكل جرأة امام المجلس انه « يجب ان نطيع الله لا الناس » (اعمال : ٢٩) وهو الشخص الذي وبخه يسوع قبل القيامة لان افكاره هي « افكار البشر لا افكار الله » (مر ٨ : ٣٢ وما يوازيها) . وما كتبه بولس الرسول عن حياته الخاصة يمكن ان ينطبق على الاثني عشر :

« الا ان ما كان في كل ذلك من ربح لي عدته خسرانا من اجل المسيح . بل اعد كل شيء خسرانا من اجل الربح الاعظم ، الا وهو معرفة ربي يسوع المسيح . من اجله خسرت كل شيء وعددت كل شيء تقايمة لاربح المسيح واكون فيه واذا تم لي ذلك عرفته وعرفت قوة قيامته وشاركته في آلامه . فتمثلت به في موته ، لعلني ابلغ القيامة من بين الاموات » (فيلبي ٣ : ٧ - ١١) .

ومع ان البشائر كتبت في ضوء القيامة بيد انها حافظت على الكثير مما يتعلق بتاريخ يسوع قبل القيامة . وهذه المعلومات التاريخية لم تعرض كحجرات حقائق تاريخية خالصة بل اعطي لها المعنى الذي اتضح بعد القيامة . اذ انه بعد القيامة فقط اكتشفت احداث بشاره يسوع ، وكل حدث اخذ معناه الكامل ، واضمح ملتصقا بتفسيره . غير ان هذا المعنى لم يكن من استنباط الانجيليين بل نتيجة التقليد الذي يستمد جذوره من يسوع نفسه .

تبقى مهبة علم التاريخ ان يكشف ، بقدر الامكان ، عما حدث فعلا ويفسر كيفية دمج الاحداث ومعانيها من قبل الانجيليين . يساعد في ذلك وجود اربع مدونات لأقوال وتعاليم يسوع مما يتيح للمؤرخين تحليل ومقارنة المعلومات الواردة في المصادر الاساسية والسعي للتمييز بين الاحداث التي وقعت قبل القيامة وبعدها . اعتراف بطرس بالوهية المسيح الوارد عند الانجيليين الاربعة (متى ١٦ : ١٣ ، مر ٨ : ٢٧ ، لو ٩ : ١٨ ، يو ٦ : ٦٨ . . .) هو مثال لهذه المشكلة في البحث التاريخي . سأل يسوع تلاميذه : « ومن انا في رأيكم انتم » (١٧) ، فكان جواب بطرس مختلفا في الانجيل الاربعة . فحسب مرقس كان الجواب : « انت المسيح » (مر ٨ : ١٩) وحسب لوقا : « انت يسوع الله » (لو ٩ : ٢٠) . اما عند متى فنجيب : « انت المسيح ابن الله الحي » (متى ١٦ : ١٦) . وهنا يرد السؤال :

ماذا قال بطرس بالفعل ؟ وما هو الشكل الصحيح لاعترافه ؟ وهل يجب قبول روايتي مرقس ولوقا المتشابهتين أو رواية متى التي تختلف عنهما بشكل ملحوظ ، فتضيف « ابن الله الحي » ؟ يعترف بطرس عند لوقا ومرقس بان يسوع هو الماسيا المنتظر . وتجدر الإشارة هنا الى ان ماسيا ذلك لم يكن يعتبره اليهود كائنا الهيا . اما شهادة بطرس في انجيل متى فانها تدل على ان بطرس والرسل الآخرين كانوا قد فهموا آنذاك سر يسوع . وهذه الفرضية تتناقض الصورة عن الإثني عشر في الاناجيل لأنهم لم يكونوا يعرفون هذا السر قبل القيامة . كذلك لا تتوافق هذه الفرضية مع رفض بطرس لتعليم يسوع عن الإله وتوبيخ يسوع له : « ابتعد عني يا شيطان ، فأنت عقبة دوني لأن افكارك ليست افكار الله بل افكار البشر » (متى : ١٦ : ٢٣) . ان رفض بطرس للإلام وتوبيخ يسوع له يردان مباشرة بعد الاعتراف به . وذلك يدل على ان بطرس اعترف بيسوع ، حسب رواية مرقس ولوقا ، انه المسيح المزمع للوعود العهد القديم .

اذن ، كيف يمكننا ان نفسير الكلمات : « ابن الله الحي » . فمتى عندما دون هذه الكلمات في انجيله لم يحرف أو يسه فهم ما حدث في قبرية فلسطين ، لكنه يتدوينه الكلمات سجل بكل بساطة اعتراف بطرس مفسراً في ضوء القيامة . الوحيد الذي اعترف به بطرس على انه الماسيا هو ابن الله المتجسد . واعتراف بطرس ، كما هو مدون في متى ، يبرز بقوة ان يسوع التاريخ هو نفسه يسوع الايمان ، وان كليهما واحد ، وان من تعبدته الكنيسة ليس سوى الذي اكد بطرس انه الماسيا . فما اضافته متى هو المعنى الذي انكشف كاملاً بعد القيامة . فمتى لم يفرق بين تاريخ يسوع وتاريخ السيد في الكنيسة في حين اتضح الاول جيداً في ضوء الثاني . ولقد اتضح الحدث وانجحت معانيه فقط عندما نظر اليه من خلال نهايته التي هي في الوقت ذاته بداية جديدة . هذا هو ما يسمى بمهمة الانجيليين الزدوجة التي تكمن في تدوين « ما حصل » ونقل معناه في آن .

دور الشهود

وقد وعد يسوع تلاميذه قبل صعوده الى الاب بانهم سيتلقون ثوة عند حلول الروح عليهم وسيكونون « شهداء » Martyres .

له « في اورشليم واليهودية كلها والسامرة حتى اقاصي الارض » (اعمال ١ : ٨) . وقد شهد الاثنا عشر ليسوع « منذ ان عمده يوحنا الى يوم رفع عنا » (اعمال ١ : ٢٢) . وفي اليوم الخمسين ، فيما كان بطرس واقامع التلاميذ ، اعلن ان « يسوع هذا قد اقامه الله ، ونحن باجمعنا شهود Martyres على ذلك » (اعمال ٢ : ٣٢) . وهكذا لم ينسب بطرس ولا التلاميذ اية كلمة خاصة الى انفسهم بل اكدوا فقط انهم شهود ليسوع .

يجب التمييز بين كون الاثني عشر شهود عيان (autoptai) (لو ١ : ٢) : قبل القيامة وحلول العنصرة وكونهم شهودا Martyres بعد ذلك . كشهود عيان اصغوا الى تعليم يسوع وكانوا على استعداد لترك « العالم » ليتبعوه (لو ١٤ : ٢٥) ، في حين كان يوجد شهود عيان كثيرون غيرهم فضلوا العالم على اتباع يسوع . لأنهم وجدوا كلامه عسيرا لا يطاق ، « فتخلى عنه عندئذ كثير من تلاميذه وانقطعوا عن مصاحبته » (يو ٦ : ٥٢) . اما بصفتهم شهودا فقد شهدوا على بشارة يسوع : ماذا قال ، وماذا فعل . فكانوا مسؤولين عن نقل احداث حياة يسوع وبالوقت نفسه عن تفسيرها . وكانوا مسؤولين عن تفسير العهد القديم بواسطة يسوع نفسه . وقيل كل شيء فيقد شهودا لقيامته وكل ما تعنيه : لقد كانوا شهودا Martyres على ان السيد الناهض هو نفسه يسوع . وشهادتهم هذه هي اساس الانجيل .

كل الشهود لقيامة المسيح ابدوا اهتماما بيسوع التاريخي . فبولس الرسول لم يكن شاهد عيان لحياة يسوع الارضية ولكن الرب اختاره ليكون له شاهدا (اعمال ٢٢ : ١٥ ، ٢٦ : ١٦) . ومع ان كل رسائله الى الامم كانت موجهة الى الجماعات المسيحية التي كانت مطلعة على احداث حياة يسوع ، كشف بولس الرسول اهتمامه الشخصي بتفاصيل هذه الحياة عندما تعدى الاحداث التاريخية الموجودة عادة في الكرازة الرسولية وكتب ، مثلا ، عن ذرية يسوع في الجسد وعلاقته بشعب اسرائيل (رو ١ : ٣ ، ٩ : ٥) . كذلك اكد على طبيعة يسوع الانسانية كابن لله مولود من امرأة (غلا ٤ : ٤) . واطهر بولس معرفته لحياة يسوع وتواضعه وطاقته الكاملة للآب (فيلبي ٢ : ٧ - ٨) . ويدل المقطع التالي من الرسالة

الثانية الى اهل كورنثوس (٨ : ٩) : « وتعلمون جود ربنا يسوع المسيح ، كيف افتقر لاجلكم وهو الغني لتغتنوا بفقره » ، ان تاريخ حياة يسوع قد بث « على الأقل في خطوطه الكبرى » في التعاليم التي كانت الكنيسة تلقتها لأعضائها الجدد (١٨) .

وكثيرا ما كان يرجع بولس الرسول في رسائله الى كلمات يسوع . فاصداء الموعظة على الجبل تسمع في رومية ٢ : ١٤ (متى ٥ : ٤٤) ، ١٢ : ١٧ (متى ٥ : ٣٩) ، ١٤ : ١٠ (متى ١٣ : ٧) . ويستهل رسالته الاولى الى اهل كورنثوس (٧ : ١٠) ، ٩ : ١٤) بكلام يسوع . « لولم يكن وجه يسوع التاريخي كما يظهر من خلال اقواله وافعاله وآلامه يشكل الخلفية الحية والركيزة الاساسية » لرؤيته اللاهوتية لما استطاع بولس ان يكتب اكثر مقاطع رسائله الهاما (١٩) . ان وجه المسيح التاريخي ومجده الذي اعلن على طريق دمشق كانا حاضرين دائما امام عيني بولس ، ولذا لم يعرف اي انفصام بين يسوع التاريخي والرب المتجدد . اخذ بولس الرسول معلوماته عن يسوع التاريخي عن الشهود العيان لحياة يسوع وآلامه ، وعن الشهود لقيامته . وشهادة هؤلاء متجسدة في الانجيل التي هي المصدر الوحيد لمعرفةنا عن يسوع الناصري ولا نملك وسيلة اخرى لنقل الحقائق التاريخية الا في حياطي الشهادة . ومن شهادة كهذه بزغت الانجيل .

